جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

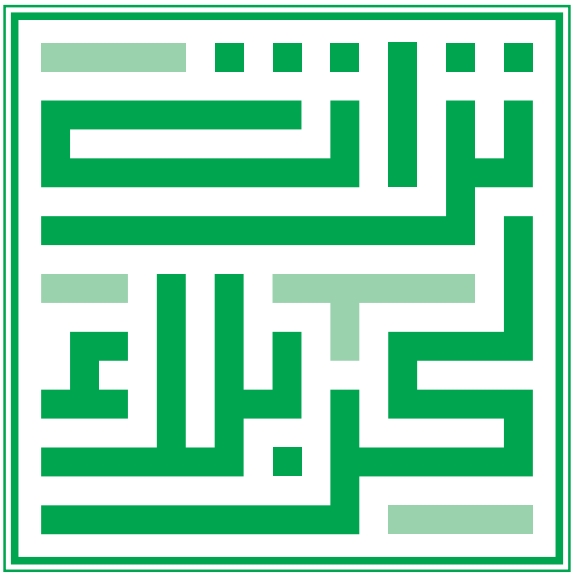

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الرابعة/ المجلّد الرابع/ العدد الثالث

شهر ذي الحجة المعظم ١٤٣٨هـ / أيلول ٢٠١٧م

دراسة وصفية لِرثاء الإمام الحسين عليه السلام
في شعر الشيخ ابن العرندس الحلي

A Descriptive Study of Elegizing Imam Husain (pbuh) in Al- Sheikh Ibn Al- Urindis Al- Hillys' Poetry

أ.م.د. محمود آبدانان مهدي زادة

أ.م.د. غلامرضا كريمي فرد

أياد نيسي/ طالب ماجستير بِفرع اللغة العربية و آدابها

جامعة الشهيد تشمران الأَهوازية/ كليةالإلهيات والمعارف الإِسلامية/ قسم اللغة العربية و آدابها

Asst. Prof . Dr. Muhmoud Abdanan Mahdi Zadah

Asst. Prof . Dr. Ghulam Riza Kareemy Fard

The Researcher : Ayad Neesy

Al- Shaheed (Martyr) Tashamran Ahwaz University

College of Theology and Islamic Knowledge / Dept . of Arabic and its Arts

omidomid857.aan.@gmail.com

المُلخَّص

الاهتمام بِالأَدب الشيعي شَغلَ حيزاً كبيراً بعد أَحداث معركة الطف، و تعد هذه الواقعة مِن أَكثر المعارك جدلاً في تاريخ البشرية، و مِن هذا المنطلق فإنَّ لِرثاء الإِمام الحُسين عليه السلام مكانة مرموقة في الشعر العربي لا يقابلها أَي شيءٍ آخر، و قد نَتجَ هذا اللون مِن الشعر ردة فعل على العنف و الاضطهاد الأُموي ضد أَهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، مما أَدَّت هذه القضايا إِلى تطوره تطوراً ملحوظاً في الساحة الأَدبية؛ و الدارس في هذا الحقل مِن الأَدب يجد في الرثاء الحسيني الكثير مِن الصور المؤلمة و المحزنة التي هي كجمرة نارٍ مُستعرة تحرقُ قلبَ كُلّ إنسان في هذا الكون. و قد وجدنا كثيراً مِن شعراء أَدب الطف برعوا في هذا الفن و اشتهروا به، و سيظل الشعر الكربلائي الحُسيني نبعاً لا يجف و معيناً لا ينضب على مَرِّ التاريخ، لأَنَّهُ ليس ذا بُعد عاطفي فَحسب و إِنَّما بالإِضافة إِلى ذلك فإِنَّهُ يحمل بين ثناياه بُعداً دينيَّاً، و اليوم لا نَجد بلداً إِسلامياً إِلا و انتشر فيه هذا النوع مِن الشعر الديني في نطاق واسع. و خلصت هذه الدراسة إِلى عرض أَبرز الملامح و الظواهر المختلفة لِلرثاء الحسيني في شعر ابن العرندس الحلي، و نحن في هذه الدراسة اعتمدنا في خطتها على المنهج الوصفي التحليلي مُراعين فيها جوانب التحفظ و الحيطة في البحوث الدينيَّة، و قسمنا جوانب الرثاء في شعره، ثُمَّ استخرجنا مواطن جمالها، و أَشرنا إِلى الميزات البارزة و الأساسيَّة لِلرثاء الحسيني في شعر ابن العرندس الحلي. كان رثاء الإِمام الحُسين عليه السلام في شعر ابن العرندس حزيناً

و مُفعماً بِالصور المأساوية، فقد رسمَ الشاعرُ صوراً مؤثرة و حزينة تتألم منها القلوب، مع جزالة الأُسلوب و رصانته و نصاعته، و المعاني الصادقة، و اعتماده على متانة اللفظ و التعبير، وغزارة لِوصف الوجدان، و دقة في الوصف، و المطالبة بِالثورة على جبابرة الدهر، و قادة الطُغاة و الهيمنة على مَرِّ العصور، مع قُوَّة التأثير في نفس المتلقِّي و ذهنه.

الكلمات الدّلالية: الرثاء، أدب الطف، الإمام الحُسين عليه السلام، ابن العرندس الحلي.

Abstract

The Shiite literature was greatly focused on and was of great concern after the happenings of Al- Taff Battle . Much debate has been noticed regarding that Battle all through human history Accordingly, elegizing Imam Husain was greatly appreciated and evaluated in the Arabic poetry as no other type of poetry was given the same rank and status . That sort of poetry resulted in a reaction against the Amawy oppression and injustice directed against Ahlul – Bait (pbuth) . As a result, the poetry flourished and spread in the literary area (field) . Anyone concerned with this type of literature would notice in Al- Husain's elegy a great number of sorrowful and painful images which resemble a firebrand which burns the heart of every human being in this niverse . A great number of poets of Al- Taff literature who were famous of such art were noticed . However the Karbalaiy Husainy poetry would still be a spring and a source with no end all through history as it is not only of an emotional dimension but also of a religious on . Besides , this sort of poetry spread and was found mostly in all Islamic countries .

The present study displayed and showed the most prominent features of Al- Husainy's elegy in the poetry of Ibn Al- rinids .

The descriptive analytic approach was followed and adopted but taking into consideration the reservation and

cautiousness side in the religious researches . A division of the elegy side was then carried out showing their aesthetic features . This was then followed by showing the most prominent and fundamental features of Al- Husainy's elegy in the poetry of Ibn Al- rindis ; this poetry was full of satire and was sorrowful . Besides, the poet delineated and pictured gloomy and sorrowful images where ones hearts were directly affected . Addition ally such poetry was characterized by eloquence with true feelings ; it was sound, expressive, emotional and decisive in its description . It called for revolting against the tyrants all over centuries . Besides, this sort of poetry has a profound effect on its readers ' and addressees ' spirits and minds .

المُقَدِّمَة

الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، و الصَّلَاةُ و السَّلامُ على خاتَم الأَنبياء و المرسَلين، و صَفوَةِ خَلق اللهِ أَجمَعين، سَيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله عليه و على آلِه أَفضلَ الصَّلاةِ و أَزكى التَّسليم، و مَن تبعهم بإحسَانٍ إلى يوم الدِّين.

أَمَّا بَعد فإِنَّنا إِذ نقَدِّم هذا العمل المتواضع لا ندَّعي أَنَّنا أَتينا بجديد و لا نُبَرِّئ أنفسنا من الخطأ و التقصير و الزَّلَل، فإِن كان من سهوٍ في عِبارةٍ، أَو غُمُوض في فكرةٍ، أَو خللٍ في استنتاجٍ، فَعُذرنا أَنَّ الكمال لله ﷻ وحدَه، و حسبنا صِدق التَّوجُّه، و استفراغ الجُهد، وَ اللهُ ﷻ أَعظمُ رقيبٍ، وَ أَكرمُ حسيبٍ.

ومما يجدر بالذكر قبل كُلِّ شيء هُوَ أَنَّ موقف الإِسلام و القرآن الكريم من الشعر هو موقف إِيماني أَخلاقي، فإِنَّنا لو تأَمَّلنا في آيات القرآن الكريم لوجدنا أَنَّ القرآن لم يحرِّم الشعر في ذاته بَل أَرادَ أَن يكون الموقفُ الجمالي خاضعاً للموقف الديني مُتأَثراً بالمثل الجديدة التي جاءَ بها الإِسلام و حاولَ أَن يُوفِّق بين الموقف الجمالي و بين الموقف الديني، حتى لا يجد الفنَّانُ وجودَ خصومة بين الدين الجديد و الجمال الفني[1] كما وصف الله ﷻ هؤلاء الشعراء الذين يقولون من لغو و باطل في مَدح و ذم يؤذي الله و رسوله، بصورة مخزية مشجية يندى لها الجبين قائلاً سبحانه و تعالى بأَنَّ أَتباع هؤلاء الشعراء هم المنحرفون عن صراط الحق، ثمَّ يُشير اللهُ ﷻ إلى هؤلاء الشعراء الذين ينهون الآخرين عن أَشياءٍ يرتكبونها، فقال الله ﷻ في آيات بينات، و حُجج نيرات، و براهين ساطعات: «وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ

فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ".[٢] و مِن هذا المنطلق حَثَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عامة الناس في المجتمع على التصدى لهذا الصِّنف مِن الشُّعراء، و الذين قَد عُرفوا بتشجيعهم و تبريرهم لِلفساد و قَول الكذب، في قوله: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُرَابَ**»[٣]، و روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في بيان موقف الإسلام مِن الشعر أَنَّهُ قالَ: «**إِنَّما الشِّعْرُ كَلامٌ مُؤَلَّفٌ فَمَا وَافَقَ الحَقَّ مِنْهُ فَهُوَ حَسَنٌ، وَ مَا لَمْ يُوَافِقِ الحَقَّ مِنْهُ فَلا خير فيه**».[٤]

قبل أَن ندخل في صُلب هذا الموضوع يجب أَن نُشير بِأَنَّ الاهتمام بقضية الطف و الإمام الحسين عليه السلام سببٌ لِنجاتنا بِإذنِ الله عزوجل في الدنيا و الآخرة، و مِن هذا المنطلق أَصبحت هذه القضية إِحدى القَضايا العظيمة و المهمة لَدى كُلّ المؤمنين على مَدى التاريخ، و ذلك لما فيها مِن طاقات قوية هائلة تُساعدنا على الصمود أَمام قادة الطُغاة و الهيمنة، و تحدِّي الصعوبات و المشقات.

فَقَد أَعطى الإمام الحسين عليه السلام لله تعالى كُلّ شيء و بلا حدود و قدم التضحيات التي لم يشهد التاريخ و لن يشهد مثيلاً لها، فكان عطاؤه بلا حدود و بلا نهاية، فكان علينا أَن يكون عطاؤنا للإمام الحسين عليه السلام و مشاركتنا و مواساتنا بلا حدود، حتى نكون بِمستوى الحُبّ و الولاء لِلعظمة الحُسينية.[٥] فكان لِواقعة الطف المؤلمة التي استشهد خِلالها الإمام الحُسين عليه السلام و أَصحابه الكرام أَثراً كبيراً في نُفوس و عاطفة الموالين لأَهل البيت عليهم السلام، وَ لذا نُلاحظ بِأَنَّ محبي أَهل البيت عليهم السلام في كُلِّ عام يُقيمون العزاء على مُصاب سيِّد الشهداء عليه السلام بِكُلِّ فخرٍ

و اعتزاز، و دموعهم مُنهمرةٌ على خدودهم و أَصواتهم مرتفعةٌ بِالبكاءِ و النحيب على مَــرِّ العصور. و يجب أَن لا ننسى بِأَنَّ لأَحداث معركة الطف بشكلٍ عــام و لِقتل الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ خاص حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أَبداً، و كما أَسلفنا بِأَنَّ كُلّ شخصٍ موالٍ لأَهل البيت عليهم السلام يحسّ بِعظمة هذه القضية، و هي التي تدفعهُ إِلى المثابرة و تحدي الصعوبات في طريق سيِّد الشُهداء عليه السلام دون مُبالاة.

وَقَــد قُسِّـمَ البحث على أَربعـة مباحث؛ المبحث الأَوَّل: الرثـاء في العصر المملوكي، و المبحث الثاني: أَدب الطف، و المبحث الثالث: نظرة عابرة على حياة ابن العرندس الحلي وشخصيته في شعره، و المبحث الرابع: جوانب الرثــاء الحسيني في شعر الشيخ ابن العرندس الحلي، ثُمَّ تليها خاتمة البحث.

المبحث الأول:

الرثاء في العصر المملوكي

«الرثاء لُغةً؛ مِن رَثى، رَثيَاً وَ رِثايَةً وَ مَرثِيَةً، وَ رَثَأتُ الرَّجُل رَثأً أَي مَدَحتُهُ بعدَ مَوته، وَرَثَأَت المرأَةُ زُوجها، كذلك؛ وَهِيَ مُرثِئَة».(٦) «أَمَّا الرثاء في الأَدب؛ فَهُوَ الشعرُ الَّذي يُعَبِّرُ الشاعرُ فيهِ عَن مَشاعر الحُزنِ و اللوعةِ التي تَنتابُهُ لِغياب عزيزٍ فُجِعَ بِفَقدِه».(٧)

يدور موضوع الرثاء عادة حول ذكر الصفات الحسنة لِلميت وَ يسعى الشاعرُ مِن خِلال وصفه لهذه الخصال الطيبة و التي هي أَيضاً حافلة بِذكر الآلام و المرارة و التوجع الباكي و الشكوى مِن الزمان، أَن يُلهم ذَويه الصبر و السلوان، لذا نجد هذا النوع مِن الشعر يمتازُ عن باقي أَنواعه بِالصدق في العاطفة المتأَججة و الخفاقة التي هي مُندفعة اندفاعاً شديداً لِتؤثر في قلب المستمع، وغزارة لِوصف الوجدان و حرارة القلب و متانة اللفظ و الصور الرائعة و دقة في الوصف و ضخامة الأُسلوب. والرّثاء فنّ مِن فنون الشِّعر الغنائيّ يُعَبِّر فيه الشاعر عن حُزنه و تفجّعه لفقدانِ حبيب؛ «كما يَتلوَّنُ الرثاءُ بِألوانٍ مختلفة تَبَعَاً لِلطبيعةِ و المزاج و المواقف؛ فإذا غَلبَ عليهِ البكاءُ على الرَّاحلِ، وَ بَثَّ اللوعةَ و الحُزن، كانَ (نَدْبًا)، وَ إذا غَلبَ عليهِ تَسجيل الخصال الحميدةِ التي يَتَمَتَّع بِها الفقيدُ في حياتهِ كانَ (تأبيناً) وَ إذا غلبَ عليهِ التأَمُّل في حقيقةِ الموتِ و الحياةِ كانَ (عَزاءً) و قَد يَجتَمِعُ الندبُ و التَّأبينُ و العزاءُ في القصيدةِ الواحدة».(٨)

وقد أَصبحَ الرثاءُ في هذا العصر مرآة يُعكَس مِن خِلالِها ما

تَحـدُث مِـن حوادث جَسيمة. وَ بمـا أَنَّ الكثير مِن المـدُن لَحِقَتها أَضرار مِن جرَّاء الحُروب، أَصبحَ رثـاءُ المـدُن المنكوبة أَحـد أَهَـمّ معاني الرثـاء في هذه الحقبة. على سبيلِ المثال عندما احتلَّ المغول عام «٦٥٦» هِجرياً بغدادَ وعاثوا بها فساداً قامَ الكثير مِن الشعراء بِرثـاءِ هـذه المدينة، و مِنهُم شمس الدين الكوفي حيث يـقـول:

«مـا لِـلـمـنـازِلِ أَصبحت لا أَهلها أَهـلـي وَ لا جِـيـرانـهـا جِـيـراني
وَ لقد قَصَدتُ الـدَّارَ بعدَ رَحيلكُم وَ وقـفـتُ فـيـهـا وقـفـة الـحَـيـران
وَ سَـأَلـتُـهـا لـكـن بِـغَـيـرِ تَـكَـلُّـمٍ فتكَلَّمَت لكن بِغَيرِ لِسانِ[٩]

وَ مِن المعاني الأُخرى التي كـانت مُتداولة بينَ الشعراء خِلال هذهِ الحُقبة الزمنيَّة هي رثـاءُ الدول الزائلة، كقول ابـن إياس وَ هـو يَرثي دولـةَ المماليك بعد أَن أَطـاحَ بهـا السلطان سليم الأَول:

نـوحـوا عـلـى مِـصـرَ لأَمـرٍ جَـرى مِـن حـادثٍ عَمَّت مصيبتُهُ الـوَرى
زالَـت عَساكرَها مِـنَ الأَتـراكِ في غَمضِ العُيونِ كأَنَّها سِنة الكَرى

وَ يمتازُ هـذا اللون مِن الشعرِ بِصدقِ العاطفةِ و الابتعاد عن التَكلُّفِ و الافتعال و بالاستقلالِ عَـن كُلِّ تـيـار.[١٠]

وَ علاوةً على المعاني المذكورة كـانت هُنالكَ مَعانٍ تقليديَّة كرثاءِ الحُكَّام و رثاء العائلة و الأَقارب و الخِلَّان، وَ مِن ذلك قـول ابـن نُباتة في رثـاءِ ولـدهِ عبدالرحيم:

«يـا سـائـلَ الـدَمـعِ إِبـهِ فَـمَـا أُجـوِّزُ رَدَّك
أَقَـصَّـدتَـنـي يـا زمـانـي كـأَنَّـنـي كُـنـتُ قَـصـدَك
عـبـدَالـرحـيـمِ بِـرُغـمِـي أَن تَـسـقِـيَ الـعَـينُ عَـهـدَك[١١]

عاشَ الشعراء المماليك في عصر خَيَّم استخدام المحسنات البديعية و زخرفة الأَلفاظ و تنميق الكلام على الأدب عامَّةً و على الشعر خاصَّةً. فأَكثرَ الشعراء مِن المحسنَّات البديعية بِفرعيها فى نتاجاتهم وأَصبح اللجوء إلى الصَّناعة و التَّكلف وسمةً بارزة فى أَدب هذا العصر و مضماراً بعيد الشَّوط لِإبراز المقدرة الأَدبية و الغزارة اللغوية بين الشعراء و الأُدباء. و لم يكن الشعراء في هذا العصر بمنأَى عن هذه النزعة. و إنَّما سايروها و عالجوها و أَولعوا بها لِتصبح طابعاً مميَّزاً لِشعرهم. فَنراهُم تارةً يميلون إلى المحسنات المعنوية و يُسرفون في استخدامها في شعرهم و تارةً أُخرى تستهويهم المحسناتُ اللفظية فيوظفونها توظيفاً يطغى على شعرهم، و نتعرض لهم مرَّةً فَنراهُم يَتلاعبون بالأَلفاظ و الأَحرف، يفصلون بينها حيناً و يفككّونها تارةً و يرخمونها أُخرى لِيُنتجون منها أَلفاظاً جَديدةً يُثرى بها نتاجهم الشِّعري، و لِتكون مظهراً لِسعة اطِّلاعهم اللغوي و مرونتهم في تصريف الأَلفاظ و تقليبها و التَّلاعب بها. و قَد نَراهُم في غير قليلٍ من قصائدِهم يميلون إلى المحسنات البديعية و زخرفة الأَلفاظ، ويستعيرون منها مادتهم الشعرية للتعبير عن عواطف أَنفسهم و خلجات صدورهم. و لا يخفى على القارئ أَنَّ دراسة هذه المحسنات البديعية و زخرفة الأَلفاظ تميط اللثام عن خبايا أَفكارهم و آرائهم كما تكشف عن سعة إلمامهم بهذه العلوم، وتبيَّن كيف استطاع الشعراء أَن يوظِّفوا قوانين علم البلاغة بِشكلٍ عام و علم البديع بِشكلٍ خاص، و يخلقون منها صورا شعرية جميلة، لذاً مِن أَهمّ خَصائص الرثـاء في هـذا العصر هُـوَ إغـراقُ الشعراء بِالبديعِ، وَ الصنائعِ اللفظيَّةِ

كالتوريةِ و الجناسِ وماشابه ذلك مما رأَيناه في الأَبياتِ المذكورة، وَ أَيضاً كثرة التكرار و استخدام الكلمات العاميَّة وَكذلك الغُلو، حَيثُ يُصَوِّرُ لَكَ المصيبة بِأَنَّها تَهدِمُ المجدَ وَ هذا مانَراهُ في رثاءِ صفي الدين الحلي لِخالهِ حيث يَقول:

نوحوا على مِصرَ لأَمرٍ جَرى ... مِن حادثٍ عَمَّت مصيبتُهُ الوَرى

زالَت عَساكرَها مِنَ الأَتراكِ في ... غَمضِ العُيونِ كأَنَّها سِنة الكَرى

المبحث الثاني:

أدب الطف

شخصية الإمـام الحُسين(عليه السلام) محيطٌ واسع مِن المُثل الأَدبية و الأَخلاق النبوية و القيم النبيلة، و ثـورتـه فضاءٌ واسع مِن المعطيات الأَخـلاقية و العقائدية، وَ لعلَّنا نتمثلُ أَهمَّ سمة مِن سمـات العظمة في هذه الشَّخصية مِن قَول جَدّه الرسول (صلى الله عليه وآله): «**حُسينٌ مِني و أَنـا مِن حُسين**»، فارتقت إِنسانية السبط إِلى حيث نبوَّةُ الجد «**أَنـا مِن حُسين**»، و هبطت نبوَّة الجد إِلى حيث إِنسانية الحفيد السبط «**حُسين مني**».(١٣) فـإِنَّ المعنى المتبادر مِـن التعبير «**مِني و أَنـا مِنه**» يُفِيد شـمولية الامتداد لِعمـوم الصفات بين الشخصيتين المقدستين، مـا عـدا النبوة، فَكـانَ مِن الطبيعي أَن يكـون لمقتل سبط النبي (صلى الله عليه وآله) بالطريقةِ التي قُتِلَ فِيها، ذلك الوقع المؤلم في نفـوس المسلمين.(١٤) وَ هُناك أَحاديث كثيرة تُشيد بِالحُسين، وَ مَدى حُبّ الرسول (صلى الله عليه وآله) لَهُ، فَقَد عاشَ الحسينُ (عليه السلام) خَمس سنـوات في ظِلِّ النبـوة و كثيـراً مـا كـان يحـملهُ الرسـول على ظهره، و كثيراً مـا كـان هو وَ أَخوه الأَكبر الحسن يقفزان على ظهر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أَثناء سجوده، فَيطيل السجود حتى ينزلا مِن على ظهره.(١٥) و الحبّ لِشخصية الإِمام الحسين (عليه السلام) لم ينحصر بما ذكرنا مِن الأَمثلة سالفاً، كما يقول الشيخ باقر شريف القرشي في هذا السياق لَقَد أَفـاضَ الإِمـام أَمـير المؤمـنين(عليه السلام) جميع ذاتيـاته في نـفس ولـده الحُسين، و مَـنَحَهُ حُبَّهُ و إِخلاصه، و زودهُ بِأَروع حكمه و آدابه، و قَـد بَـلـغ مِن عـظيـم حُبـّه أَنَّـهُ لم يسمح لَـــهُ بِالدخولِ في عمليات الحـروب أَيـــام صفين، كما لم

يسمح لأَخيه الحسن عليه السلام بذلك لئلا ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله.(١٦)

وَ مِن هُنا نَرى بِأَنَّ جبابرة الدهر و قادة الطُغاة بالرغم مِن كُلِّ جهودهم التي بذلوها، لم يتمكنوا مِن إزالة محبَّة الإمام الحُسين عليه السلام مِن قُلوب المسلمين، فَكلّ مُخططاتهم باءت بالفشل. ولا عجب في ذلك إذ قالَ الله عزوجل في القرآن الكريم، مُخاطباً النبي الأَكرم صلى الله عليه وآله: ﴿وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقا﴾.(١٧) فَاستطاعت شخصية الإمام الحُسين عليه السلام أن تدخل قلوب الكثيرين، و تجتذب الناس وتمتلك أَزِمَّة قلوبهم، و مفاتيح عقولهم، و ذلك لما لها مِن منزلة مرقومة و سامية عند الرسول الأَعظم صلى الله عليه وآله، و لذا هذه المحبَّة لم ينحصر وجودها بعد رحيل النبي الأَكرم صلى الله عليه وآله و الإمام على عليه السلام ، وَ في الوقت نفسه نَجد بِأَنَّ هذه المحبَّة تزداد في النفوس يوماً بعد يوم، لأَنَّها مِن عِند الله عزوجل، و هي مِن العوامل التى تستجلب المحبَّة الإلهية. و هذا هُوَ ما أَكَّد عليه الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.(١٨)

أَثارت قضية واقعة الطف و ما تحمل بين ثناياها مِن محن و أَحزان و مُلمات، مَشاعر و أَحاسيس شُعراء الشيعة فَفاضت على أَلسنتهم أَجمل القصائد في رثاء أَهل البيت عليهم السلام، و التي يفوح فيها عبق الشهادة الَّذي انطلقَ مِن معركة الطف. ما عرفت البشرية جمعاء عظيماً مِن ابنائها قيل فيه مِن الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليه السلام و لو تصدّى متتّبع لِلمقارنة بين ما نظم فيه، و ما نظم في عظماء

الدنيا مجتمعين لتعادلت الكفتان، أَو رجحت كفة الحُسين عليه السلام..[١٩]

لقد شكلت ملحمة كربلاء على مَرِّ التاريخ إلهاماً لِلشعراء وَ ذوي النفوس الشفيفة لما حملتهُ الفاجعة الأَليمة مِن مَعانٍ روحية و توثب ثوري و غيرة على العقيدة، فَكانت على الدوام دعوة تستحث شاعرية الأَنفُس النزَّاعة لِلتحليق في عالم المثل الزاخر بِكمالِ الأَخلاق.[٢٠]

إِنَّ أَهم بواعث إِتجاه شعراء شيعة أَهل البيت عليهم السلام إِلى رثاء الإِمام الحسين عليه السلام هي حادثة الطف الأَليمة و ما تحمل في طياتها مِن مُلَمات، وَ مَشاهد تُدمي القلب و تؤرق الجفون، و الخاتمة الأَليمة المفجِّعة التي آلت إِليها واقعة كربلاء مِن سبي بنات أَهل بيت النبوة عليهم السلام وحملهن مِن بلدٍ إِلى بلد. إِنَّ علاقة الشيعة بِمعتقدهم و بزعمائهم الروحيّين و هُم النبيّ محمد صلى الله عليه وآله و أَهل بيته عليهم السلام أَقوى و أَشدّ مِن علاقة الأَب بابنه و الأُمِّ بِوليدها الوحيد، و التاريخ كلّه شاهِد على ذلك، فَلا غرو إِذا كانت المراثي تترى مِن تلك الأَيام إِلى يوم الناس هذا، و لا تعجب إِذا أَحسست بدفء عاطفة الشاعر الشيعي بين حنايا حُروفه و كلماته، فَإِنَّهُ يَكادَ يَلفظ أَنفاسه فيها، وَ يحتلّ الرثاء في الشعر الولائي المساحة الكبيرة مِنهُ، وَ يكون لمأَساةِ الإِمام الحسين عليه السلام الرقم القياسي فيه[٢١].

وَيجب أَلَّا ننسى بأَنَّهُ كان لِتشجيع وَ حثّ وَ ترغيب الأَئمة الأَطهار عليهم السلام محبيهم على قَول الشعر في فضائلهم و مزاياهم، و ما ينالهُ الشاعر الحسيني مِن منزلة عالية بِعمله هذا، الأَثر الكبير في

شعراء الرثـــاء الحسيني، فـأَعطى مَـوقف أَهـل البيت عليهم السلام للشعر الرثـائي حـافـزاً دينيًّاً إلى جـانـب الحـافـز العاطفي، و كـان مِن الدوافع الأَساسية وَ القوية التي أَدَّت إلى اتجـاه شعراء الشيعة نحو الأَدب الولائي المنظوم و الإِكثار مِن هـذا اللون في شعرهم، و مـا تمخض عنها مِن تـأَجيج الحميَّة الدينيَّة، وتعزيز العلاقة العاطفية و العقدية بـأَهـل بيت النبوة عليهم السلام. و مِن هـذا المنطلق نُشير إلى مـا ورد عن الإِمام الصادق عليه السلام في هـذا السياق، فإِنَّهُ قـالَ:« مَن قـالَ فينا بيت شعر بنى اللهُ لَـهُ بيتاً في الجنة».(٢٢) وَ هـذا هُـوَ مـا أَكَّدَ عليه القرآن، عندما قـالَ الله جل جلاله في محكم كتابـه الكريم: ﴿وَ مَنْ يُعَظِّم شَعائِرَ الله فَإِنَّها مِن تَقْوى القلوب﴾.(٢٣)

إِذن عندمـا يقوم الشاعر الشيعي بِنظم الشعر و إِنشاده حَـول فضائل و مناقب أَهـل البيت عليهم السلام فـإِنَّـهُ عَملَ عملاً دينيًّاً وَ يدخل في تعظيم شعائر الله عزوجل، وإِنَّ عمله يـكـون مِن أَعمال التقوى. لـذا عندما يقوم شعراء الرثـاء الحُسيني بِتَجسيد واقع أَهـل البيت عليهم السلام العملي قـولاً و فعلاً، وَ يسعون في تسليط الأَضواء عليهم مِن خِلال هذا الجهاز الإِعلامي الفاعل، فإِنَّهم بعملهم هـذا يُعَرِّفُون عـامـة الناس بمَظلومية أَهـل بيت النبوة عليهم السلام، و أَنواع الاضطهادات التي تعرضوا لها مِن السلطات الجائرة، و في الوقت نفسه يُـدافـعـون عـن العقيدة الإِسلامية الأَصيلة وَ دينهم الحنيف أَمـام الدعـايـات الكـاذبة التي تصدر عـن الضجيج الإِعلامي المخالف وَ عملائهم الخـونـة و المجرمين الَّـذين يسعون في الأَرض فساداً، لِيستتب لهُـم الأَمر مِن أَجلِ مُحـاربة الإِسلام و المسلمين، و الوصول إِلى اطماعهم

و مصالحهم. ولكن هذا الموقف المضاد الَّذي اتخذتهُ السلطات المتعاقبة من موضوع رثـاء الحسين لم يؤثِّر على نموِّ الشعر الحسيني الرثـائي، بَـل لعلَّهُ زادهُ نموَّاً و حـرارةً، و جعل شعراء الشيعة يُمـارسونَـهُ بِـروح الفداء و التضحية و التقوى.(٢٤)

فـإنَّ ثـورة الإمام الحسين (عليه السلام) كـانت مِن أَجلِ إصلاح أُمَّة جده الرسول الأَعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، و لخلاصها مِن بَراثن الجهل و الظلم، و إِحيـاء أَحكـام القرآن على أَسـاس العقيدة الإِسلامية الأَصيلة التي يقوم عليها بناء الـديـن، فَما دام دين الإِسلام و القرآن الكريم مُخلداً أَبد الآباد، وَ قَد حفظه الله (جل جلاله): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَـهُ لَحافِظُونَ﴾(٢٥).

فَثورة سبط النبي الأَكرم (صلى الله عليه وآله) الإِمام الحسين (عليه السلام) محفوظة و مُخلدة أَيضاً مـع الإِسلام و القرآن إِلى يـوم الدين . فَكـان مُجرد ذكر الاسم الشريف مـدعاة للتضحية بِكُـلِّ معانيها، و الشهادة بِأَقصى درجاتهـا، فَهُوَ القدوة لِكُلِّ الأَحرار(٢٦).

استمدَ شعراء الأَدب الملتزم مِن قضية معركة الطف، و توالي المصائب على آل بيت النبوة(عليهم السلام) خِلال العصور اللاحقة العون و المـدد في خَلق صـور شعرية بـاهـرة، و تحمل مَعها الحُـزن الرسالي و التعبير العاطفي الوقَّـاد. و في هذا المضمار يجب أن لا ننسى بأنَّ الأستاذ السيد جواد شبر يُعَدُّ مِن أبرز الشخصيات الذين اهتموا بأدب الطف، و مما يجدر بالذكر أنَّ الأستاذ السيد جواد شبر سعى جاهداً في مجال إحياء أدب الطف، فإنَّه قام بجمع قصائد الكثير من شعراء الشيعة، فصار كتابهُ المسمى

بـ «شعراء الحسين عليه السلام أَو أَدب الطف» مصدراً سخيّاً من مصادر الأدب الملتزم، بحيث استمد الشعراء المعاصرون منه موضوعات و نماذج و صوراً أَدبية عدة حول مدح أهل البيت عليهم السلام و رثائهم و ذكر فضائلهم. و من هذا المنطلق قامَ صاحب كتاب شعراء الحسين عليه السلام أيضاً بِجمع قصائد الشيخ ابن العرندس الحلي في موسوعته الشعرية و عَلَّقَ عليها.

إِنَّ الحسين عليه السلام قَد مَضى على استشهاده أَلف و ثلاثمائة سنة أَو تزيد، وَ مِن يومه إِلى يومنا هذا، وَالأَجيال مِن قوميات شتَّى ينظمون فيه الأَشعار بِالفُصحى وَ غير الفُصحى، و قَد تغيَّرت الحياة و مَرَّت بِالعديد مِن الأَطوار، و قَضَت على الكثير مِن العادات إِلّا الاحتفال بِذكرى الحُسين، و الهتاف باسم الحُسين نثراً و شعراً، فَإِنَّهُ ينمو مِن عصرٍ إِلى عصر، تماماً كما تنمو الحياة، وَ سَيستمر هذا النمو.(٢٧)

كان شعر الرثاء الحسيني صورة لِلموقف النفسي للإِنسان الشيعي بِوجهٍ خاص و للإِنسان المسلم بِوجهٍ عام، فَقد كان شعر الرثاء الحسيني حزيناً في غير ذلٍّ و لا روح انهزامية أَمام قسوة الواقع وَتحدياته.(٢٨) وَ تُعَدُّ المدة الواقعة ما بين استشهاد الحسين عليه السلام وَ بين نهاية الدولة العباسية سنة «٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م»، مِن أَخصب عصور الشعر الكربلائي، لِسبب بسيط؛ وَ هُوَ أَنَّ الأَئمة في ذلك الزمن كانوا يشجعون هذا النوع مِن الشعر و يثيبون عليه و يكرمون قائليه.(٢٩)

وَ مهما يكن مِن أَمر فَإِنَّ واقعة الطف كانت المحرك الأَساسي و الباعث الرئيس في إِثارة الشعراء مُنذ حُلولها إِلى الآن، و

مِن ثمَّ لو وصفنا ما قِيل مِن قَصائد وَ أَشعار في هذه الواقعة بـ(الطفِّيات) لَكان أَعلق بِالموضوع وَ أَكثر ارتباطاً بِه مِن غيره مِن المصطلحات أَو المسميات.[٣٠] الطفِّيات مُصطلح آثر الباحث نسبته لِلقصائد المتضمّنة وَصفاً لِواقعة الطف و ما جَرى فيها مِن فاجعة حَلَّت بِالإمام الحُسين عليه السلام وَ أَهل بيته و أَصحابه، و لا ريب في أَنَّ هذا المصطلح يشمل جميع القصائد التي بَكت الحُسين عليه السلام وَ تَفجَّعت بِمقتله في تلك الواقعة الأَليمة مُنذ حُلولها سنة إِحدى وَ ستين لِلهجرة وَ إِلى الآن[٣١].

«المبحث الثالث

نظرة عابرة على حياة ابن العرندس الحلي و شخصيته في شعره

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلي الشهير بابن العرندس، أحد أعلام الشيعة و مِن علمائها المؤلّفين في الفقه والأصول، و لهُ مَدائح و مراثي لأئمة أَهل البيت ﷺ تنمُّ عن تفانيه في ولائهم و مناوءَته لأعداهم.(٣٢) ابن العرندس هُوَ مِن مفاخر شعراء العراق و كبار شعرائه في العصر المملوكي، فإنَّهُ خطيب مفوَّه و أديب كبير، و كان يمتلكُ ثقافة متنوعة، و متضلعاً من الفقه و الأصول و الأدب العربي. و مما يلفت النظر هُوَ أنَّ الشعر في عصر المماليك و بِالتحديد في الحلة، لم يكن مقصوراً على طبقة خاصة مِن المجتمع، فقد ظهر العديد من الشعراء الذين كانوا بِالأصل كبار الفقهاء و العلماء في تلك الحقبة الزمنيَّة. ويجب أن لا ننسى بِأنَّ الشاعر أصلُهُ مِن الحلة، و كانت الحلة مِن أَهم مراكز الشيعة على صعيد العلم و الأدب والثقافة في حقبة الانحطاط. كما يقول الدكتور نضير الخزرجي في هـذا السياق بِأنَّ الشعر الحسيني في هـذه الحقبة انحصَرَ في المدرسة العراقية، و في دائرة أضيق، بِالمدرسة الحِليَّة، إذ بَرَزَ شعراء مدينة الحلة «بابل» مِمَن دَرَسَ في مدرستها العلمية و الأدبية أو أَخَذَ مِن علمائها و أدبائها: « و في الحقيقة فإنَّ ديوان هذا القرن اعتمد في الأَساس على شعر المدرسة الحِليّة كمّاً و كيفاً » مثل صالح بن عبد الوهاب الحلي الشهير بابن العرندس(٣٣). فكان لِلشاعر ابن العرندس الحلي دور مهم و إيجابي في نُهوض الأدب الملتزم في هـذه الحقبة، فإنَّهُ دافَعَ عن العقائد الشيعيّة و أَفكارهم، و تجلى هـذا الأمر مِن خِلال أَشعاره و معانيه الشعرية التي هي في مدح أَهل

بيت النبوة(عليهم السلام) و رثائهم و ذكر فضائلهم. و لهُ قصيدة رائية يقال إنَّها لم تُقرأ في مجلس إلا وحضرهُ الغائب(عجل الله تعالى فرجه الشريف).[٣٤] و لو لا أَنَّ أَشعار ابن العرندس طاب ثراه قَد وقعت موضع قبول أَهل البيت(عليهم السلام)، لما أَخذت بِمجامع قلوب محبّيهم هذا المأخذ، وَ لَمَّا حلّت محلّها الرفيع.[٣٥] وصاحب كتاب أدب الطف عند بيان ترجمة الشيخ ابن العرندس الحلي يقول: كان عالماً ناسكاً أديباً بارعاً مُتضلعاً من علمي الفقه والأصول و غيرهما مصنفاً فيها، لهُ كتاب كشف اللآلي و كان مِمَن نظم فأَجادَ و قصر شعره على رثاء أهل البيت(عليهم السلام).[٣٦] وَتوفّي سنة ٨٤٠هـ في الحلة، و دُفِنَ فيها[٣٧].

المبحث الرابع:

جوانب الرثاء الحسيني في شعر الشيخ ابن العرندس الحلي

الشيخ ابن العرندس الحلي قبل أن يكون شاعراً و أَديباً كبيراً فإنَّهُ كان مِن كبار علماء المدرسة الجعفرية. فكان شعره صورة واضحة عن أَهدافه الروحية و أغراضه. فإنَّهُ لم يتخذ نهج مَن تقدمه أو عاصرهُ من أصحاب القريحة و أبطال الشعر، بل اتخذ الشعر وسيلة للعروج إلى السماء. و يثبت لنا بأَنَّ الشعر عنده درجة عالية سامية، فَمن هذا المنطلق و بالعناية إلى ما أسلفناه في بداية الحديث عن جوانب هذا الحدث الهام، وجدنا بأَنَّهُ من الواجب علينا أن نعطي صورة واضحة و لو باختصار عن دور هذا العالم الكبير في مجال أدب الطف. و إنّنا تطرّقنا في هذه الدراسة إلى أهم جوانب أغراض شعر الشيخ ابن العرندس الحلي، ألا و هو رثاءالإمام الحسين ﷺ، فإنَّ الشاعر صَوَّرَ مشهد واقعة الطف تصويراً دقيقاً، من خلال سحر تخييله الشعري الخلاب الذي يأخذ بمجامع القلوب، وكان تعبيرهُ حول هذه القضية تعبيراً عاطفياً وقّاداً يؤجج لهيب نيران الحزن الرساليّ في باطنهم و يوقظ فيها مشاعر الثورة و معاني التحرر.

هنالك دراسة واحدة أنجزت حول أدب الشيخ ابن العرندس الحلي نخصُّ منها بِالذكر، بحثاً تحت عنوان «تحليل سيمائي لرائية ابن العرندس و مقارنتها مع معاصريه» للدكتورة آفرين زارع والباحثة طاهرة طوبائي، المنشور في مجلة اللغة العربية و آدابها؛ لذا مِن هذا المنطلق رغم دراسة واقعة الطفّ و ما بعدها في عِدَّة كُتُب أَو رسالات و أَطاريح

جامعية، و لكننا مَع الأَسف لم نجد دراسة سابقة خاصة و موسعة و شاملة حول الرثاء الحسيني في شعر ابن العرندس الحلي، لذا فالوقوف و النظر في الأشعار التي نظمها الشيخ ابن العرندس الحلي في الرثاء الحسيني، يفتح لنا باباً جديداًللولوج إلى الأدب الملتزم. و يجب أن لا ننسى بأنْ نشير إلى أنَّ هذا البحث يُعَدُ وسيلة من الوسائل المعينة للمتطلعين و الباحثين عن معرفة أسرار الإمام الحسين عليه السلام وفضائله.و سبب قِلَّة الأَشعار التي نُظمت في رثاء أَهل البيت عليهم السلام في عصر المماليك يرجع إِلى الأَزمات السياسية المتأَججة التي كانت تُخيِّم على المجتمع المملوكي، و ذلك بسبب الأَعمال التعسفية التي مارستها السلطة الحاكمة ضد الشيعة، فانقلبت طبيعة الثقافة مِن اللون الشيعي إِلى السني، و لذا عانى الشاعر الشيعي في عصر المماليك ما عاناه مِن الويلات و الآلام. فَفِي هذا القسم قمنا بقراءة جميعا لأَبيات المنسوبة إِلى الإِمام الحسين عليه السلام، و مِن ثمَّ قُمنا بِدراسة الأَبيات التي هي ذات الصلة بموضوع بحثنا هذا؛ فَفِي ما يلي نَقوم بِدراسة بعض أَهم جوانب الرثاء الحسيني في هذه الأَشعار، و هي كالتالي:

أَولاً: التذكير بنسب الإِمام الحسين عليه السلام الشريف

عِند قِراءَتنا للأَبيات نَحسُّ بِمشاعر ابن العرندس المرهفة تجاه أَهل بيت النبوة عليهم السلام، مَع قُوَّة البيان و براعة الأُسلوب التي في شِعره، فأَكَّد الشاعرُ على نَسَب الإِمام الحُسين عليه السلام الشريف، لِيصور لِلمتلقي فَخامة شأن أَهل بيت الرسالة عليهم السلام و مكانتهم الفريدة عند

المسلمين، مُشيراً إلى تَجاهل الأَعداء مزية النسب الشريف و منزلته المرموقة، وَ كفى بالإمام الحسين عليه السلام فخراً أَنَّهُ سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فقالَ الشاعرُ مُنشداً:

«سبط النبيِّ المصطفى الهادي الَّذي أَهدى الأَنامَ مِن الضلال و أَرشدا
وَ هُوَ ابن مولانا عليّ المرتضى بَحر الندى مروي الصدا مُردي العدا
أَسمى الوَرى نَسباً وَ أَشرفهم أَباً وَ أَجلّهم حَسباً وَ أَكرم محتدا (٣٨)

فأَكَّدَ ابن العرندس على هذه القضية مَرةً أُخرى في قصيدته الرائية، وَ ذلك لِبيانِ أَهمية الموضوع، قائلاً:

«إِمَامُ الهُدَى سِبطُ النُبُوَّةِ وَالِدُ الـ أئمةِ رَبُّ النَهي مَوْلَىً لَهُ الأَمرُ
إِمَامٌ أَبُوهُ المرتَضَى عَلَمُ الهُدَى وَصِيُّ رَسُولِ اللهِ وَالصِنوُ وَالصِّهرُ (٣٩)

وَ ممَّا يجدر بالذكر هُنا هُوَ أَنَّ الشاعر ابن العرندس من خلال هذه الأبيات أَشارَ أَيضاً إلى أَبرزِ الصفات التي تميَّزَ بها الإمام علي عليه السلام طوال حياته المباركة، ألا وَ هي صفة الكرم و السخاء. فكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يَسعى جاهداً إلى إشباع جوع الفقراء و إغاثتهم في سبيل الله عزوجل، و قالَ اللهُ الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَ يَتيماً وَ أَسيراً﴾.(٤٠) وَ في جانب آخَر، أَشارَ الشاعرُ إلى أَنَّ الإمام عليًا عليه السلام كان يسخط سخطاً شديداً على أَعداء الإسلام، و ذلك من خلال استخدامه لمفردة «**مردي العدا**» أَي «**مُهلك الأَعداء**»، فَكانَ الإمام علي عليه السلام يقفُ كالصخرة الصماء صامداً أَمام سهام الأَعداء، دفاعاً عَن الدين و العقيدة؛ وَ لَقَد شَدَّدَ القرآن الكريم على هذا الموضوع، إذ قالَ اللهُ -تبارك وَ تعالى-: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾.(٤١)

«ثانياً: ذكر قساوة قلوبهم المتحجرة»

يصور لنا الشاعر ابن العرندس الحلي هُنا شِدَّة مُعاناة أَهل البيت عليهم السلام على رمضاء كربلاء. هذه الأَرض الواسعة التي لا ماء فيها و لا كلأ، فأَشارَ الشاعرُ إلى عظمة المصيبة، و عطش الإمام الحُسين عليه السلام ضمناً، لِيُزيلَ الستارَ عن حقيقة السلطة الأُموية المعادية للإسلام و قَساوة قُلوب جلاوزة يزيد (لعنه الله) الكفرة الفجرة. فَكأَنَّ الإمام الحُسين عليه السلام سأَلهم لِيسقوه شُربة مِن الماء و لكنّهم لم يعطوه.

«لم أَنسه في كربلا مُتلظِّياً ... في الكربِ لا يلقى لِماءٍ مَوردا
وَ المقنب الأُمويُّ حَول خبائه النْ ... نَبويِّ قَد مَلأَ الفدافد فُدفدا (٤٢)

وَ في جانب آخر مِن القصيدة يُصَوِّر الشاعر لنا أَيضاً هذا المشهد المؤلم وَ هول المصاب بِصورة أُخرى، مُنْدداً بِالأُمويين و مُشيراً إلى الشدائد و النكبات التي تعرض لها آل البيت الأَطهار عليهم السلام في معركة الطف الداميَّة على أَيدي أُناسٍ يزعمون أَنَّهم مسلمون و الإسلام مِنهُم براء. فإِنَّ جلاوزة يزيد (لعنه الله) حالوا بين الإمام الحسين عليه السلام و أَصحابه النُجباء، و بين الماء، و منعوهم أَن يستسقوا مِنهُ قطرة.

«وَ مِن العجائب أَنَّ عَذب فراتها ... تَسري مُسلسلةً وَ لن تتقيَّدا
طامَ وَ قلب السبط ظام نَحوهُ ... وَأَبوه يَسقِي الناسَ سلسله غَدا(٤٣)

الشاعر ابن العرندس الحلّي مِن خِلال استخدامه لمفردة «**قلب ظام**» وَ «**مُتلظِّياً**»، أَرادَ أَن يُعبِّر عَن مَدى مَظلومية الإمام الحسين عليه السلام و أَصحابه و أَهل بيته عليهم السلام. وَمِن هُنا نَرى بأَنَّ هذه الكلمات هي مؤشر

واضح عن الاضطهاد الَّذي تَعرضَ لَهُ الإمام الحسين عليه السلام و أَهل بيت الرسالة عليهم السلام؛ و إذا نظرنا مِن جانب آخر إلى هذه القضية فإنَّها تدلّ على قساوة قُلوب جلاوزة يزيد (لعنه الله) المتحجرة و فظاظتهم؛ و لذا هُوَ مِن الطبيعي أَن تفت هذه المحن و الملمات التي تعرض لها أَهل البيت عليهم السلام في معركة الطف حشا الصابر.

وَ في هذا البيت يذكر لنا الشاعر ابن العرندس الحلي أَيضاً مشهدًا آخر مِن المشاهد المأساوية و الصور المؤلمة التي حصلت بعد معركة الطف الداميَّة، و هُوَ عندما أَصبح الرأس الشريف بين يدي يزيد (لعنه الله)، فأَخذَ الأَخير (لعنه الله) القضيبَ وَ جَعلَ ينكتُ ثَنايا الحسين عليه السلام :

«أَيَقرَعُ جَهلاً ثَغرُ سِبطِ مُحَمدٍ وَصَاحِبُذَاكَالثَغرِيُحمَى بِهِالثَّغرُ»(٤٤)

وَ ممّا يجدر بالذكر هنا هُوَ أَنَّ الشاعر استخدم الجناس التام في هذا البيت، فالمراد بالثغر الأَول والثَّاني إحدى الأَسنان الأَربع التي تَقع في مقدَّمة الفم، و بِالثغرِ الثالث الحُدود الجغرافية.

«ثالثاً: الإباء و الشجاعة»

إنَّ كربلاء كانت و لا تزال مَنارة البطولة و الفداء، و مَنهج حياة لِلبشرية جَمعاء على مَرِّ العصور. تحدَّثَ الشاعرُ هُنا عَن بُطولة الإمام الحسين عليه السلام الجسدية و بسالته في ساحة الوغى، والتي أَظهرها في مواجهته الطُغاة و جبابرة الدهر، و بلائه العظيم في المعارك و رفضه لِلإذعان لِقوى الشر دفاعاً عَن الحق و القيم الإنسانية المثلى، فإنَّهُ كان مُستعداً لِقبولِ

أَي مكروه، فكـان سيد شباب أَهل الجنة (عليه السلام) لا يخشى مُواجهة و نضال العدو وجهاً لِـوجه، فَقد حـاربَ الإِمـام الحسين (عليه السلام) و أَصحابه النجباء، الطغيـانَ بـالشجاعة و العزة، و أَبلـوا بلاءً حسـناً و عظيمـاً، و قـدموا أَنـفسهم فـداءً لـدينهم و أُمتـهم بِعِزَّة و كبرياء، مَـع أَنَّهم لا يأَملون نصراً عسكرياً، لأَنَّ المـوت في سبيل الحـق هُـوَ الانتصار العظيم الَّـذي مِن خِلالـه تُخلد مَبـادئ الثـورة الحسينية. وَ هـذا هُـوَ مـا أَكَّدَ عليه الله–سبحانه و تعالى–في محكم كتابه الكريم: ﴿وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.(٤٥)

«صـالَ الحسينُ على الطُغاةِ بِعزمِه ... لا يختشي مِن شُربِ كاسات الردى
وَ غَـدا بِـلام الـلَـدن يَطعَـنُ أَنجلاً ... وَ بغين غرب العضب يَضربُ أَهودا
فـأَعـادَ بِالضـربِ الـحُسام مُفلَّلا ... وَ ثَنى السنان مِن الطعان مقصَّدا»(٤٥)

وَ كرَّرَ الشاعر ابـن العرندس الحلي تصوير الروائع مِن هـذه البطولات الملحمية في قصيدة أُخرى، قـائـلاً:

«فَـقَـامَ الفَتى لما تَـشَـاجَـرتِ القَنَا ... وَ صَـالَ وَ قَدْ أَودَى بمُهجَتِهِ الحَـرُّ
... فَفرَّقَ جَمعَ القَومِ حتَّى كَأَنَّهُم ... طُيُورُ بِغَاثٍ شَتَّ شَملَهُمُ الصّقرُ»(٤٧)

أَشادَ الشاعر ابـن العرندس هُنا بِمـا بـذلهُ الإِمـام الحسين (عليه السلام) و أَصحابه مِن أَجلِ مُكافحة الطُغاة وَ جبـابـرة الدهر؛ وَ مِن هذا المنطلق فـإِنَّ الإِمـام الحسين (عليه السلام) و أَصحابه الكـرام أَبَوا الـذُلَّ و الهـوان و الحياة مَـع الظالمين، و كـانـوا مُستعدين أن يضحوا بِـالغالي و النفيس، فَتمكنوا مِن إرضـاخ العدو أَمـام مطالبهم و غـايـاتهم، وَ كسبوا الحياة الخـالـدة مِن خـلال انتصار الـدم على السيف. فأَصبَحَت مَبادئ هـذه الـثـورة الحُسينية

مِـن أَهــمِّ الأُسس الدينيَّة، وَ المرتكزات الثقافية لِلمسلمين و البشرية بشكلٍ عــام و لِلشيعة بشكلٍ خـاص. وقَــد صَـوَّر لنا الشاعرُ الإِمــام الحسين عليه السلام بِصفته رمــزاً لِـلبسـالـة و المقاومة، بِصورة طائر جارح كبير الحجم، ثُمَّ صَوَّرَ القومَ الَّذين في جبهة الباطل، بِصورة طُيُورصغيرة ضعيفة، و مِن هُنا نَرى بِأَنَّ الشاعر مِن خِلال استخدامه لهــذا التشبيه أَعطى لِقصيدته روعــة الجمال و طـابـع الابتكار.

وَ أَنشَدَ الشاعرُ مَـرةً أُخرى في هــذا السياق قائلاً:

«وَ الـخيـلُ مُـحدقةٌ بِجيم جَماله وَ قلوبهم في الغلي تحكي المرجلا
وَ السبطُ يخترق المواكب حَاملاً بِعزيمةٍ تردي الخميس الجحفلا»(٤٨)

كرَّرَ الشاعر لـنا في قصيدته تصوير بسالة و شـجـاعـة الإِمــام الحسين عليه السلام في هــذه الملحمة البطولية، وَ هُــوَ يَحصدُ رؤوس الأَعَــداء و لا يخشى المــوت، فَعبست وجــوه القوم خـوف المــوت لأَنَّهم أشرفوا على الهلاك.

«رابعاً: ضلالة جلاوزة يزيد لعنه الله و انصياعهم لأَوامر الحكام الأُمويين»

يُصوِّر لنا الشاعر ابن العرندس الحلي في هـذه الأَبـيات حال جلاوزة يزيد لعنه الله الكفرة الفجرة في عدم انصياعهم لِلإيمان وَ الإِسلام، وَ إِنَّما ذلك هُــوَ دليل على مُخالفتهم لأَوامـر الإِسلام وَ الانـقيـاد لأَوامر قــادة الطُغاة و الهيمنة، و وقوعهم في ظُلمات الضلالة، و اتباعهم لأَهوائهم و شهواتهـم و إِيثـارها على الحق، و تسليمهم لأَوامر أَجهزه السلطة الحـاكمة.

كما وصفهم الله-سبحانه و تعالى-بذلك في آيات بينات، و حُجج نيرات، و براهين ساطعات، وَ منها قَولهُ وَجَلَّ: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾.(٤٩)

«جَيشٌ يُريدُ رِضَا يَزيد عصابةٌ غصبت فَأَغضَبَت العليَّ وَ أَحمدا
جَحَدوا العليَّ مَع النبيِّ وَ خالفوا الهادي الوصيَّ وَ لم يخافوا الموعدا
وَغَواهُم شيطانهم فَأَضَلَّهُم عمداً فَلَم يَجِدوا وَليًّا مُرشدا»(٥٠)

«خامساً: وصف أَعمال يزيد لعنه الله و جلاوزته القذرة»

يُشير الشاعر ابن العرندس الحلي في هذه القصيدة إلى انحراف السلطة الأُموية و جلاوزتهم، و ما فعلوه من أَعمال شاذة بحقِّ أَهل بيت النبوة عليهم السلام، وَ ما تعرضَ لَهُ آل بيت الرسول عليهم السلام من أَعمال تَعَسُّفية و ظلم ممنهج ضدهم، وَ ما نالهم من قَتل ذَريع، و سبي و تنكيل لِلنساء و هَتك لِلحُرمات؛ بِحيث آذوا الإِمام الحُسين عليه السلام و أَهله و أَصحابه يوم عاشوراء، و داست الخيل ذلك الجسد الشريف، و وُسِّدَ هذا الجسد الطاهر على رمضاء كربلاء، مِن غَير أَن يرعى لأَهل البيت عليهم السلام حُرمَة. و تحدَّثَ الشاعِرُ في هذه القصيدة أَيضاً عن لحظة استشهاد سبط الإِمام الحسين و الإِمام العباس عليهما السلام، و طريقة تَعامُل هذه العصابات الاجرامية مَع حامل الرسالة المحمدية، مُشيراً إلى قلوب جلاوزة يزيد لعنه الله التي هي أَشَدّ مِن الحجارة قَسوة، و لقَد تحجرت في قلوبهم الغليظة كُلّ معالم الإِنسانية، بِحيث كانوا يضربون الإِمام الحسين عليه السلام و

أَصحابه النجباء بالرماح و السيوف حتى لفظوا أَنفاسهم الأَخيرة، ثُمَّ أَقبل القومُ على سلبهم، فَنهبوا مطارفهم بعد استشهادهم.

«وَ السيِّد العباس قَد سَلبَ العِدا عَنهُ اللباسَ وَ صَيَّروه مُجرَّدا
وَ ابن الحُسين السبط ظمآن الحشا وَ الماء تنهله الذئاب مُبرَّدا
كالبَدرِ مَقطوع الوريد لَهُ دمٌ أَمسى على تُربِ الصعيد مُبدَّدا
وَ السَّادة الشهداء صَرعى في الفلا كُلٌّ لأَحقاف الرِّمال توسَّدا»(٥١)

صَوَّرَ لنا ابن العرندس جَوانب أُخرى مِن مظلومية الإمام الحسين عليه السلام و أَهل بيته الكرام عليهم السلام في هذه القصيدة، و يَجب علينا أَن نُشير هُنا إلى بعض مِن هذه الصور المأَساوية، و هي كالآتي: "سلب المطارف"، و "عطش سبط الإمام الحسين عليه السلام "، و "مَقطوع الوريد"، و "ترك الجسد الشريف مُقطعاً بالسيوف إرباً إرباً على رمضاء كربلاء». أَرادَ الشاعر ابن العرندس مِن خِلال تجسيده لهذه الصور الشعرية أَن يُعبِّر عن الأَحاسيس الحزينة الكامنة في أَعماقه، لِكي يُساهِم في الأَجرِ مَع الموالين، و يُشاطرهم أَلمهم و أَحزانهم في هذا المصاب الجلل.

وَ ممّا يَجدر بالذكر هُنا هُوَ أَنَّ الشاعر استخدم تشبيهًا جميلًا في البيت الثالث، فَشبَّهَ وجه سبط الإمام الحسين عليه السلام بالبدر، و وَجهُ الشبهِ هو الحُسنُ و الإنارة و البهجة في كُلٍّ.أَكَّدَ الشاعرُ مِن خِلال هذه الأَبيات على قساوة قُلوب الأَعداء، و كيف أَنَّهم لم يُراعوا لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله مِن حُرمة، فإِنَّ جلاوزة يزيد لعنه الله مِن خِلال أَعمالهم الشنيعة و قتلهم للإمام الحُسين عليه السلام و أَصحابه الكرام كأَنَّما أَرادوا الحُصول على الخُلود الأَبدي و لكن سرعان ما تبددت أَحلامهم و ظهرت لهُم

الحقيقة فَكانت كُلّ مَساعيهم هَباءً مَنثوراً. فَعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام شُربة مِن الماء لِولده الرضيع الَّذي جَفَّ ريقه عطشاً، كان الرد هُوَ ذلك السهم المسموم الَّذي ذبحه في حجر أَبيه، فأَخَذَ يرفُّ كالطير المذبوح مِن شِدَّة الأَلم.

سادساً: عدم نصرة الإمام الحُسين عليه السلام

يستمر الشاعر ابن العرندس في حديثه عن بسالة الإمام الحُسين عليه السلام و تضحيته في سبيل العزة و الكرامة، ثُمَّ ينعطف وَ يَقول بِأَنَّ القوم تخلوا عن الإمام الحسين عليه السلام و لم ينصروه، فَهكذا وقف الأُمويون في وجه سبط الرسول صلى الله عليه وآله و حامل الرسالة المحمدية، و هُوَ مُنفردٌ وَحيدٌ غَريبٌ في ساحة المعركة لا ناصِرَ لَهُ و لا مُعين؛ و يُشير الشاعرُ أَيضاً إلى فظاعة و فداحة المصاب و الملمات. بِحيث أَنَّ الأعداء لم يألوا جُهداً في إيذاء أَهل البيت عليهم السلام، و لكن الإمام الحسين عليه السلام لم يشعر بهذا الأَمر مِن الناحية المعنوية و العزيمة الصارمة و القيم النبيلة التي كانت لديه، وَ ذلك لأَنَّهُ يَشعر أَنَّهُ مَعَ الله عزوجل، ومَن كان مَعَ الله عزوجل كان الله عزوجل مَعهُ، وَ قالَ اللهُ–سبحانه و تعالى–في هذا الصدد: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.(٥٢)

«وَالسبطُ حَرَّان الحشا لِمصابهم ... حيران لا يَلقَى نَصيراً مُسعدا
دارت عليه عُلُوج آل أُميَّة ... مِن كُلِّ ذي نقص يزيد تَمرُّدا»(٥٣)

وَقالَ الشاعرُ أَيضاً في قصيدته:

«وَالسبطُ شاكٍ ما لَهُ مِن ناصرٍ ... شاكٍ إِلى رَبِّ السَّموات العُلى»(٥٤)

«سابعاً: ذكر هول مُصيبة كربلاء»

يَتحدَّث الشاعر ابن العرندس الحلي هُنا عن وقائع معركة الطف وأَبعاد هذه المأساة الإنسانية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً. فَكانَ الجميع في يوم عاشوراء حَزيناً على مصاب سيِّد الشهداء ، وَ لقَد ناحَت و بَكت كُلّ أَملاك السماء وَ كانت الوحوش المفترسة و الطيور أَيضاً تبكي و ترثي الإمام الحسين عليه السلام ، وَ ذلك لما جَرى على أَهل البيت عليهم السلام من شدائد وَ محن شاقة و مصائب جسيمة في ساحة الوغى.

«فَبَكتهُ أَملاكُ السَّماوات العُلى وَ الدهرُ بَاتَ عَليهِ مشقوق الرِّدا
وَ ارتَدَّ كفُّ الجود مَكفوفاً وَ طر ف العلم مَطروفاً عَليه أَرمدا
وَ الوحش صَاح لما عَراهُ مِن الأَسَى وَ الطيرُ ناحَ على عَزاهُ وَ عَدَّدا»(٥٥)

كما أَنشدَ الشاعرُ مَرةً أُخرى في هذا الحقل قائلاً:

«إِمَامٌ بَكَتهُ الإِنسُ وَ الجِنُ وَ السَّما وَوَحشُ الفَلَاوَالطَيرُوَالبَرُوَالبَحر»(٥٦)

وَ مِن هُنا نَرى بِأَنَّ الشاعر ابن العرندس الحلي في هذه الأَبيات استعار اللفظ الدال على المشبه بِه للمشبه، ثُمَّ حَذفَ المشبه و أَشارَ إِليه بِشيء مِن لوازمه، و هُوَ البكاء، و التشقيق، و الصياح، و تعديد المناقب و الفضائل على طريق الاستعارة بِالكناية، مما يملأُ فُؤادَ المتلقي أَلماً و حُزناً، و إثبات ذلك الأَمر لِلمشبه استعارة تخييلية.

«ثامناً: ذكر شدَّة الحزن و التوجُّع»

يُشير الشاعر ابن العرندس هُنا أَيضاً إلى مَدى شَراسة و فَظاظة جلاوزة يزيد لعنه الله في تعاملهم مَع الإمام السجاد(عليه السلام)، فإنَّهم لم يرحموا حتى عليل كربلاء، فَكان الإمام زين العابدين(عليه السلام) مُقيداً بالحديد وَ يَحدو بِهِ الأَعداءُ مِن بلدٍ إلى بلد، فاستباحُوا الحُرمات و سَفكوا الدماء و ارتوت رمال صحراء كربلاء مِن دماء الشهداء، و هُم أَجساد و أَشلاء مَطروحة على رمضاء كربلاء، و إذا نظرنا إلى هذه القضية مِن جانب آخر فَسنجد أَنَّ جلاوزة يزيد لعنه الله هتكوا أَيضاً سُتور نِساء آل بيت الرسول(عليهم السلام) و ضربوهن بالسياط غير مُكترثين بحرمتهن. فَكان قلب السيدة سكينة(عليها السلام) مُتصدعًا مِن الحُزن و الأَسى لما شاهدتهُ مِن أَحداث فادحة و مؤلمة في معركة الطف الداميَّة؛ بحيث كان أَهل بيتها مُضرجون بِدمائهم حَولها، ورؤوسهم أَمامها على رؤوس الرماح طول الطريق، فَاغرورقت عيناها بِالعبرات حُزناً على أَهل بيتها(عليهم السلام).

«وَ سروا بزين العابدين السَاجد الـ ـباكي الحَزين مُقيَّداً وَ مُصفَّدا
وَ سكينةٌ سَكَنَ الأَسَى في قَلبها فَغَدا بِضامرها مُقيماً مُقعدا
وَ أَسالَ قتل الطفِّ مَدمَع زينب فَجَرى وَوسط الخَدِّ مِنها خدَّدا»(٥٧)

وَ تَكلَّمَ الشاعر ابن العرندس الحلي أَيضاً في البيت الثالث مِن هذه القصيدة عَن فَظاعة ما أَصابَ السيِّدة العقيلة(عليها السلام) مِن مُلمات، مُصوِّراً قَساوة أَعداء الإسلام في كربلاء، وَ ما تمخض عنها مِن بُكاء السيِّدة زينب(عليها السلام) حُزناً على أَهل بيتها(عليهم السلام) وَ ذلك لما ارتكبتهُ هذه

العصابات الاجرامية مِن جَرائم و فَظائع في كربلاء، و لمستها السيدة زينب عليها السلام بيديها عن كثب، و هذه مِن المصائب التي ما لا ينشد الصبر في مثلها، بحيث لم ينجُ أَيّ أَحَدٍ مِن هذا الاضطهاد الأُموي، فَضَجَت السيدة الطاهرة عليها السلام بالنحيب، وَ كان لذلك أَثرهُ العميق في النُفُوس المؤمنة، فَأَلهبَت هذه المصائب الجسيمة النفوسَ بانتظار الوقت المناسب لِلأَخذ بثأَرِ الإمام الحسين عليه السلام مِن قَادة الطُغاة وَ الهيمنة.

وَ ذكرَ لنا الشاعر ابن العرندس الحلي أَيضاً في هذه الأَبيات أَحوال أَهل بيت الرسالة عليهم السلام عِند الإِسار، مُصوِّراً مِن خِلالها الاضطهاد الَّذي تَعَرضوا لَهُ، وَ ما جرى عليهم مِن مِحن شاقة و مصائب جسيمة مِن قبل هؤلاء الكفرة الفجرة، وَ كيف تعاملوا مَع عليل كربلاء–الإمام زين العابدين عليه السلام –كما أَسلفنا. وَ يُشير الشاعرُ أَيضاً في هذه القصيدة إِلى سَبي نساء أَهل البيت عليهم السلام، و كيف يَحدو بِهنّ الأَعداء مِن بلدٍ إِلى بلد وَ قَد هُتِكَت سُتورهن، قائلاً:

«وَ لَهفِي لِزَينِ العَابدينَ وَ قَد سَرَى أَسِيراً عَليلاً لا يُفَكُ لَهُ أَسرُ
وَ آلُ رَسُولِ الله تُسبَى نِسَاؤُهُمْ وَمِنْ حَولِهُنَّ السترُيُهتَكُ وَالخِدرُ»(٥٨)

«تاسعاً: في التحدث عن بني أُميَّة الطُلقاء»

يَلعنُ الشاعر ابن العرندس هؤلاء الكفرة الفجرة من خلال أبياته، و ذلك لِتحقير خُصوم أَهل البيت عليهم السلام وَ مُعانديهم، مُشيراً إِلى أَنَّ وَصمة الخيانة سَتُلاحِق أَعداء الإِسلام على مَرِّ العصور، فَاحتَجَّ

الشيخ ابـن العرندس الحلي على أَعمال جَلاوزة يزيد لعنه الله القذرة وَ مـا عملوه مِن قَتلٍ و تَنكيل لآل بيت الرسول عليهم السلام، و سفك دمائهم، و تعذيبهم بِأَشدِّ العقوبات، و هتك و سبي حريم أَهل بيت النبوة عليهم السلام، و الأَحـداث التي أَدمَت قلـوب جميع البشر. و أَكَّـدَ الشاعرُ في هـذه القصيدة على أَنَّ حُـزنـهُ على الإمام الحُسين عليه السلام سَرمَدي، حَتى يوافيه الأَجل.

«فَـلأَلعنـنَّ بَـني أُمـيَّـةَ مَـا حَـدا حَـادٍ وَ مَـا غَـارَ الحَجيجُ وَ أَنجدا
وَ لأَلـعـنـنَّ يَـزيـدهـا وَ زيـادهـا وَ يـزيـدُهـا رَبِّـي عَـذابـاً سَـرمَـدا
وَ لأَبـكـيـنَّ عليك يَـا بـن محمَّدٍ حَتى أُوسَّد في التُراب مُلحَّدا»(٥٩)

هـذه اضمامة مِـن أَهـمِّ جَـوانـب الرثـاء الحُسيني في شعر الشيخ ابـن العرندس الحلي في عـهـد المماليك، وَ مِن هـذا المنطلق تَحـدَّثَ الشاعر في قصائده عَـن مَـدى تـأَثُّـره الشديد بِـأَحـداثِ معركة الطف الداميَّة وَ مـا تحمل في طياتهـا مِـن مُلمات وَ مَـصـائـب جسيمة وَ نَـكـبـات؛ كـمـا بَـثَّ الشاعر في قَصائِـده حُـزنـه الكـامِـن في أَعماقه، وَ ذلك لمـا أَصـابَ أَهل بيت الرسالة عليهم السلام في ذلك اليـوم الـدامي مِن مُلمات تُفت حشا الـصـابِـر، وَ كـيـف تـآمـرت قـادة الطُغاة وَ الهيمنة وَ جَـلاوزتهـم الكفرة الفجرة على سِبط النبي الأَكرم صلى الله عليه وآله وَ الأَبرياء العُزل مِـن أَهل بيته النُجباء عليهم السلام.

الخاتمة

الخصائص التي اتضحت من خلال دراستنا لرثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر الشيخ ابن العرندس الحلي هي كالتالي:

١. صَوَّرَلنا الشاعر جوانب مِن أحداث معركة الطف الدامية بحذافيرها، و مِن أهمّ النتائج التي توصلنا إليها مِن هذه الدراسة: بيان مظلومية آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، و المحن الشاقة و المصائب الجسيمة التي جرت عليهم مِن قبل السلطة الأموية و جلاوزتهم الكفرة الفجرة، و تجاوز الشاعر في رثائه من ذكر المأساة و المحن الشاقة و النكبات و المصائب الجسيمة إلى رفض جور و اضطهاد السلطة الأموية و أعمالهم التعسفية، و المطالبة بالثورة على قادة الطغاة و الهيمنة.

٢. إذا عرضنا مُفردات قصائد الشاعر ابن العرندس الحلي على المعجم لا يمكن لنا أَن نجد حتى و لو خطأً واحداً، و هذا إذا دلَّ على شيء فإنَّهُ يدلُّ على أَنَّهُ كان شاعراً مجيداً باللغة العربية الفصحى غاية الإجادة بحيث أَنَّهُ يتعاطى مع الألفاظ ببراعة ممّا يزيد إعجاب ذوّاق الشعر العربي الفصيح بذلك.

٣. كانت جميع أَشعار ابن العرندس الحلي مرآةً لخلجات نفسه و انتماءاته الفكرية و قيمه الدينية، واصفاً حُبّه لآل بيت النبوة عليهم السلام، لذا سارَ الشاعر على خُطى القدماء في رثاء الإمام الحُسين عليه السلام، جاعلاً الأَئمة الأَطهار عليهم السلام أُسوة حسنة للحياة البسيطة التي هي مليئة بالمفاخر، و مِن هذا المنطلق رَسمَ الشاعر مِن خلال أَشعاره صورة سيد الشهداء عليه السلام الحقيقية، مُشيراً إلى مضامين خُلقية كان يتخذها الإمام الحُسين عليه السلام، لِلمِّ شمل المسلمين، مؤكداً على اتخاذها اليوم، مِن جملتها الشجاعة، و تحسَّر

الشاعر أَيضاً مِن خِلال قصائده على الأَيام الماضية التي كـان الإِسلام فيها بِعزٍ و شُموخ.

٤. أحاط الشاعر ابن العرندس بقضية معركة الطف من جميع جوانبها و زواياها المختلفة، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلُ على سعة اطلاعه من الناحية التاريخية، و غزارة علمه حول ما كُتبَ في هذه الواقعة الأليمة و ما نتج عنها من قضايا.

٥. أضاف الشاعر لقصائده التي رثى بها الإمام الحسين(عليه السلام) طابع الابتكار و روعة الجمال، فأخذت قصائده بمجامع القلوب، و ذلك من خلال خلقه ببراعة للصور الشعرية الرائعة التي تواكب التطورات لهذه الحقيقة التاريخية و مَزجها بالطابع الملحمي الذي ألـبَسَ الموضوعَ ثوباً جديداً، وجعل لشعره الحسيني مكانة متميزة متفوقة.

٦. حاول الشاعر من خلال تعبيره عن مشاعره المرهفة الرقيقة إيصال صورة موجزة إلى المتلقي بشكلٍ أو بآخر عن أحداث كربلاء و ملماتها التي تدمي القلوب، متخذاً هذا الشيء حافزاً لإثارة أحاسيس القلوب التي هي نابضة بالحب لآل بيت النبوة (عليهم السلام).

٧. كان الشاعر يمزج عواطفه الصادقة التي تتدفق ينابيعها من داخله بألفاظه السهلة البسيطة التي تحمل معاني كبيرة و أغراضه السامية، فكان شعره يتميزّ بدقة في التعبير و بلاغته، و فصاحة وروعة البيان و قوَّته، و جزالة الأسلوب و رصانته و نصاعته، و حسن الصياغة و الديباجة، و الوضوح في الألفاظ، و البراعة في التصوير، ليتخذ الشعرَ وسيلةً للوصولِ إلى أهدافه العالية، ألا و هي بيان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) في معركة الطف الدامية.

الهوامش

١. علي صابري، النقد الأدبي و تطوره في الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار نشر سمت، طهران، ١٣٨٤هـ.ش، ص ٣٣.

٢. سورةالشعراء، آية ٢٢٤-٢٢٦.

٣. الحافظ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، تحقيق محمد عبد القاهر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٥٠.

٤. أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العُمدة في محاسن الشعر، و آدابه و نقده، حَقَّقهُ و عَلَّقَ عليه محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٧.

٥. السيّد محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عظمة إلهيّة و عطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء المقدسة، بلاتا، ص ٨.

٦. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج٥، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨ م، ص ٩٧.

٧. جعفر باقر الحسيني، تاريخ الأدب العربي؛ أدب صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.ق، ص ٢٤٣.

٨. إميل ناصيف، أروعُ ما قيل في الرثاء، دارُ الجيل، بيروت، بلاتا، ص ٥.

٩. حسن دادخواه، اللغة العربية و آدابها مِن إيران إلى مصر، الطبعة الأولى، دار نشر جامعة الشهيد تشمران، أهواز، ١٣٨٩ هـ. ش، ص ١٧٧.

١٠. بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي و العثماني، الطبعة السابعة، دار الملايين، بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

١١. فؤاد أفرام البستاني، المجاني الحديثة، ج ٥، الطبعة الثامنة، ذوي القربى، قم المقدسة، ١٣٩١هـ.ش، ص ٢٥٣.

١٢. شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، المصدر السابق، ص ١١٢.

١٣. انطون بارا، الحسين في الفكر المسيحي، الطبعة الخامسة، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٢٦-٢٧.

١٤. علي حسين يوسف، الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الشعر العراقي الحديث، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، كربلاء المقدسة، ٢٠١٣، ص ٢٠.

١٥. مأمون غريب، الإمام الحسين؛ حياته و استشهاده، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، بلاتا، ص ٣٣.

١٦. باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج١، الطبعة الرابعة، مدرسة العلمية الإيرواني، قم المقدسة، ١٩٩٢م، ص ٤٢٤.

١٧. سورة الإسراء، آية ٨١.
١٨. سورة الشورى، آية ٢٣.
١٩. جواد شبر، أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ج١، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م، ص ١٠-١١.
٢٠. انطون بارا، المصدر السابق، ص ٣٩٨.
٢١. نزار آل سنبل، أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي المعاصر، المركز الثقافي للنشر و التوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢١٢.
٢٢. المصدر نفسه، ص ١٥٩.
٢٣. سورة الحج، آية ٣٢.
٢٤. الشيخ محمد مهدي شمسالدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، الطبعة الثانية، المؤسسة الدولية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٤٨.
٢٥. سورة الحجر، آية ٦.
٢٦. علي حسين يوسف، المصدر السابق، ص ١٧٢.
٢٧. شبر، المصدر السابق، ص ١٠.
٢٨. شمس الدين، المصدر السابق، ص ١٤٩.
٢٩. السيّد حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٨٨م، ص ٨٣.
٣٠. علي كاظم المصلاوي، الطفيّات المقولة و الإجراء النقدي، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، كربلاء المقدسة، ٢٠١٢م، ص ١٨.
٣١. المصدر نفسه، ص ٢٥.
٣٢. عبد الحسين أحمد الأميني، الغدير في الكتاب و السنة و الأدب، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٨.
٣٣. نضير الخزرجي، أشرعة البيان؛ قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية، بيت العلم للنابهين، بيروت، بلاتا، ص ٥٣.
٣٤. الشيخ محمد السماوي، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبّوري، الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٤٢٠.
٣٥. الشيخ محمد الغروي، المختار من كلمات الإمام المهدي عليه السلام، ج١، الطبعة الأولى، دار المجتبى عليه السلام، قم المقدسة، ١٤١٤هـ، ص ٤٢٨.
٣٦. جواد شبر، أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ج٤، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ، بيروت،

٢٠٠١م، ص ٢٨٧.

٣٧. السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٧، حَقَّقَهُ و أخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٧٥-عبد الحسين الشبستري، مشاهير شعراءِ الشيعة، ج٢، الطبعة الأولى، المكتبة الأدبية المختصّة، قم المقدسة، ١٤٢١هـ، ص ٣١٣.

٣٨. الأميني، المصدر السابق، ص ٣٥.

٣٩. الغروي، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

٤٠. سورة الإنسان، آية ٨.

٤١. سورة الفتح، آية ٢٩.

٤٢. شبر، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

٤٣. الأميني، المصدر السابق، ص ٣٦.

٤٤. فخر الدين الطريحي، المنتخب في جمع المراثي والخطب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٧.

٤٥. سورة المنافقون، آية ٨.

٤٦. شبر، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٤٧. الطريحي، المصدر السابق، ص ٣٤٦.

٤٨. الأميني، المصدر السابق، ص ٢٠.

٤٩. سورة المائدة، آية ٧٠.

٥٠. الأميني، المصدر السابق، ص ٣٥- ٣٦.

٥١. شبر، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٥٢. سورة محمد، آية ٧.

٥٣. شبر، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٥٤. الأميني، المصدر السابق، ص ١٨.

٥٥. المصدر نفسه، ص ٣٦.

٥٦. الغروي، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

٥٧. الأميني، المصدر السابق، ص ٣٧.

٥٨. الطريحي، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

٥٩. الأميني، المصدر السابق، ص ٣٧.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. آل سنبل، نزار، أهل البيت(عليهم السلام) في الشعر القطيفي المعاصر، المركز الثقافي للنشر و التوزيع، بيروت (٢٠٠٣م).

٣. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العُمدة في محاسن الشعر، و آدابه و نقده، حَقَّقَهُ و عَلَّقَ عليه محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت (١٩٨١م).

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت (٢٠٠٨ م).

٥. الأمين، السيّد محسن، أعيان الشيعة، حَقَّقَهُ و أخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت (١٩٨٣م).

٦. الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب و السنة و الأدب، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٩٩٤م).

٧. بارا، أنطون، الحسين في الفكر المسيحي، الطبعة الخامسة، دار العلوم، بيروت (٢٠٠٩م).

٨. البستاني، فؤاد أفرام، مجاني الحديثة، الطبعة الثامنة، ذوي القربى، قم المقدسة (١٣٩١هـ.ش).

٩. الحسيني، جعفر باقر، تاريخ الأدب العربي؛ أدب صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، قم المقدسة (١٤١٦هـ.ق).

١٠. الحسيني الشيرازي، السيّد محمد رضا (بلاتا)، الإمام الحسين عظمة

إلهيّة و عطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء المقدسة.

١١. حسين يوسف، علي، الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الشعر العراقي الحديث، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، كربلاء المقدسة (٢٠١٣م).

١٢. الخزرجي، نضير (بلاتا)، أشرعة البيان؛ قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية، بيت العلم للنابهين، بيروت.

١٣. دادخواه، حسن، اللغة العربية و آدابها مِن إيران إلى مصر، الطبعة الأولى، دار نشر جامعة الشهيد تشمران، أهواز (١٣٨٩ هـ. ش).

١٤. السَّماوي، الشيخ محمد، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقهُ كامل سلمان الجبّوري، الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي، بيروت (٢٠٠١م).

١٥. شبر، جواد، أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ، بيروت (٢٠٠١م).

١٦. الشبستري، عبد الحسين، مشاهير شعراءِ الشيعة، الطبعة الأولى، المكتبة الأدبية المختصّة، قم المقدسة (١٤٢١هـ).

١٧. شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، الطبعة الثانية، المؤسسة الدولية للدراسات و النشر، بيروت (١٩٩٦م).

١٨. شيخ أمين، بكري، مطالعات في الشعر المملوكي و العثماني، الطبعة السابعة، دار الملايين، بيروت (١٩٩٩م).

١٩. صابري، علي، النقد الأدبي و تطوره في الأدب العربي، الطبعة

الأولى، دار نشر سمت، طهران (١٣٨٤ هـ ش).

٢٠. الطريحي، فخر الدين، المنتخب في جمع المراثي والخطب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (٢٠٠٣م).

٢١. الغروي، الشيخ محمد، المختار من كلمات الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، دار المجتبى عليه السلام، قم المقدسة (١٤١٤هـ).

٢٢. غريب، مأمون (بلاتا)، الإمام الحسين؛ حياته و استشهاده، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٢٣. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، الطبعة الرابعة، مدرسة العلمية الإيرواني، قم المقدسة (١٩٩٢م).

٢٤. المصلاوي، علي كاظم، الطفيّات المقولة و الإجراء النقدي، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية، كربلاء المقدسة (٢٠١٢م).

٢٥. ناصيف، إميل (بلاتا)، أروعُ ما قيل في الرثاء، دارُ الجيل، بيروت.

٢٦. نورالدين، السيّد حسن، عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر، الدار الإسلامية، لبنان (١٩٨٨م).

٢٧. الهيثمي، الحافظ نور الدين، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، تحقيق محمد عبدالقاهر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٠١م).